والتراكيب ، وتضاءلت ينابيع المديح وخفّ معينه ، فلن يرتوى الشعراء من بحر خضم كما كانوا ، ولذلك ألحوا على القديم وبدلوا فى مبانيه وصوره ، وأعادوا وكرروا حتى سقط المديح البليغ ، كما سقط العالم السياسى للإسلام فى ظلمات داجية .

فلما كان القرن العشرون عادت جذوة المديح إلى النفوس ونشأ فى مصر شعراء حول الملوك والخلفاء يتجهون حيناً إلى قصور الآستانة وحيناً إلى قصور القاهرة ، أو يترددون حول الوجهاء والزعماء والعلماء ، أو يطرقون أبواباً جديدة فى امتداح البلدان والأوطان ، وما زالوا كذلك إلى اليوم ؛ وسيظلون كذلك فى الأقطار العربية ، ما دام الشعر وحده لا يروج إلا عند ذى سلطان أو ينفق عند ذى وجاهة ومكانة ، فهو اليوم كما كان من قبل وساطة للمال والرفعة والشهرة ، يقوم عند صاحبه مقام الأسرة والقوة والشهادة العلمية ، لذلك جعله كثير من الشعراء سبيلا لمكانة سياسية أو نيل كرسى فى الحكم . فالآذان ما تزال سليمة تقود المديح وتكبر الشعر المتين ، وتعرف أن خيبة الشاعر فى مديحه تدفعه إلى لون آخر من الشعر هو الهجاء ، وهناك الطامة الكبرى والتشهير أو الفضيحة ، والعاقل من ابتعد عن لسان الشر أو اشترى الحمد والثناء والمديح

وسنبسط ألوان المديح فى الأدب العربى كما تقلب على العصور الأدبية كلها ، ناظرين إلى نوعه فى تصنيف جديد ، نعده محاولة فى تقسيم أبواب المديح ، آملين أن لا نجانب الصواب فى فهمه وعرضه وتحليله ؛ لعلنا نبلغ الفائدة المرجوة من كتب هذه السلسلة التى تهدف إلى البساطة واليسر فى الإحاطة بفنون الأدب العربى ، من غير أن تفوتها الدقة والعمق فى البحث والدراسة . ونحن نبدأ بمديح الملوك والخلفاء لأنه أكثر الشعر كمية وعدداً فى ديوان العرب ، ثم نتبعه بمديح الأمراء والوزراء والعلماء والأدباء ، وننتقل بعده إلى المديح الدينى فالسياسى ، حتى نصل إلى نهاية المطاف . وهمنا أن نثير المشاكل ونكثر من الافتراض وطرح الأسئلة ، لعل شبابنا يتساءلون فى كل ما يقرءون عن الأسباب والدوافع والنتائج ، فتكون قراءاتهم نافعة عميقة مفيدة لذيذة .